بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سيدة البحار ، وزعيمة الدول الديمقراطية ، وأولى الدول الصناعية ، وأكبر الدول الاستعمارية ، وديناموالسياسة الدولية. بهذه الكلمات وصفنا بريطانيا في مقالنا السابق

ولعل القارئ الكريم يسألني كيف استطاعت بريطانيا أن تكون لنفسها هذه المكانة الممتازة ، وأنا أجيبه بأن ذلك يرجع أولا وقبل كل شيء إلى الخلق البريطاني

الخلق البريطاني

يمتاز الشعب البريطاني بمتانة أخلاقه ، وبثباته واستقراره ، وبحب أفراده لوطنهم حبا لامزيد عليه ، ومسارعتهم للتضحية في سبيله ؛ ولعل ذلك راجع إلى تأثير المناخ ، فإن بريطانيا تمتاز بأن شتاءها بارد نوعا تكتنفه الغيوم ويغشاه السحاب ، وقد دفع ذلك الشعب إلى النشاط المكافحة والتغلب على متاعبه ، وهذا بدوره قد عود الشعب على الكفاح والجلاد والجهاد

ولا تبدو حقيقة الخلق البريطاني واضحة جلية إلا في أثناء الأزمات التي تتعرض لها بريطانيا ، فإن الشعب يتكتل في أثناء تلك الأزمات ، ويقف صفا واحدا للدفاع عن الوطن وعن تراثه. وقد كانت أخطر الأزمات التي تعرضت لها بريطانيا كثيرة ، ولكن أهمها كانت أربعا :

أما الأزمة الأولى فقد كانت تلك التي تعرضت لها أثناء صراعها مع أسبانيا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، وقد كان صراعا عنيفا بين دولتين : إحداهما تتزعم الدول الكاثوليكية وهي إسبانيا ، والثانية تتزعم الدول البروتستانتية وهي إنجلترا . ويقول أحد المؤرخين ما نصه : « ومن حسن الحظ أنه عند اقتراب الأزمة الكبيرة كان الخلق البريطاني يكتسب أخص مميزاته وهي الصلابة وشدة المقاومة » . وقد عرف البريطانيون قوتهم فرحبوا بالنزال المقبل ، وفعلا أرسل فيليب الثاني ملك أسبانيا أسطوله المعروف بالأرمادا ؛ والمؤلف من ١٣٢ سفينة « وفي وجه الخطر المقبل تنوسيت الخلافات القديمة وحل محلها نشاط قومي أدى إلى وحدة جميع الأحزاب » ووقف الشعب الإنجليزي برياسة مليكته إليصابات في وجه الخطر الإسباني ، وكون أسطولا من ١٩٧ سفينة ، واستطاع أن يحطم الأرمادا ، وبذلك نجت بريطانيا من الخطر المحدق بها ، وبدأت سيادتها البحرية

وأما الأزمة الثانية فكانت تلك التي تعرضت لها بريطانيا في أثناء صراعها مع فرنسا في عصر الثورة ونابليون (١٧٩٣ - ١٨١٤) وقد انتهى الأمر بانتصارها وسقوط نابليون

وكانت الأزمة الثالثة التي انتابتها هي الحروب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ وناضلها مع ألمانيا ، وقد خرجت منها ظافرة

وأما الأزمة الأخيرة فكانت الحرب العالمية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وقد انتصرت فيها على ألمانيا وحطمت هتلر طاغية القرن العشرين

ولعلنا نذكر تشرشل رئيس وزرائها ١٩٤٢ بعد سقوط فرنسا تحت أقدام الألمان ، ولعلنا نذكر كلماته التي واجه بها الشعب في ذلك الوقت الحرج : « إني أقدم لكم الدم والدموع » فهو لم يخدع الشعب ولم يناوره ، بل تكلم في صراحة وعرض الموقف على حقيقته ، فهو يعلم أن خداع الشعب ليس من المصلحة في شيء ، وأنه إذ يصارح الشعب بحقيقة الموقف فإنما يدفعه إلى الجلاد والكفاح ، وهو واثق من أن الشعب سيقبل على التضحية في سبيل الوطن . وقد كان إذ ثبتت بريطانيا وانتصرت

ومن (الظريف للفطاني) كما قال السيوطي أن يروي الصحابي عن تابعي عن صحابي آخر حديثا

ومن ذلك حديث السائب بن يزيد الصحابي عن عبد الرحمن ابن عبد القاري التابعي عن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه في الليل » رواه مسلم في صحيحه ومن ذلك حديث لا يستوي القاعدون

وقد جمع الحافظ العراقي من ذلك عشرين حديثا

المنصورة الكلام صلة محمود أبو ريه

وتروعك الأمثلة الكثيرة التي تقدم لك عن مدى تضحية الإنجليز في سبيل وطنهم ، فالتجنيد هناك ليس إجباريا ولكن القوم يسارعون إلى التطوع من تلقاء أنفسهم خدمة لوطنهم ، وقد قرأت ذات مرة أن أربعة إخوة كانوا يقيمون معا أثناء الحرب العالمية الأولى ، فلما قامت الحرب حاول كل منهم أن يقنع الآخرين بأن يتركوا له فرصة التطوع ، وأن يبقوا هم آمنين في دارهم ، وتظاهروا بالاقتناع ، فلما كان الغد أقبل كل منهم يسعى إلى مكتب التطوع لتسجيل اسمه ، وهناك التقى الإخوة الأربعة ورفض كل منهم أن ينزل عن شرف المساهمة في الدفاع عن الوطن . وتطوعوا جميعا !!

ويذكرني هذا بما كان من أمر الخنساء ومن أمر بنيها الذين استشهدوا في فتح فارس ، وجاء رسول الجيش إلى المدينة ليبلغ الخليفة عمر نبأ انتصار المسلمين؛ ولقيته الخنساء فسألته عن الأمر فأجابها : « لقد قتل بنوك » . فقالت له « ما سألتك عن أبنائي ولكني أسألك عما كان من أمر الجيش » فأجابها : « لقد انتصرنا » فرفعت يديها إلى السماء قائلة « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم » . لكني أوازن بين ما كان وبين ماهو كائن فأرى فرقا شاسعا . فهل يعود إلينا الإيمان ؟؟

وقد كنت على سفر سنة ١٩٤٢ وكان معي أحد أطفالي وجلس معنا أحد أفراد القوات الحربية البريطانية ؛ فوجدته يحاول إخفاء شعور قوي جارف يتملكه ، ثم رأيته يداعب طفلي فبدأت أحدثه: « لست أدري أيها الصديق ما سر شغفك بطفلي هذا » فأجابني « إن لي طفلا في مثل سنه » فقلت له « وأين هو ؟ » قال : « في لندن » قلت « ومع من يقيم » قال « مع والدته » فقلت « وأين كنت تعمل قبل خدمتك بالجيش » قال « كنت موظفا في لندن » قلت له « فمن الذي ينفق الآن على زوجك وطفلك » قال « إن زوجي قد شغلت مركزي وإن الحكومة تدفع لها نفس المرتب الذي كنت أتقاضاه » قلت له « وكيف تنفق أنت » قال « إن الحكومة تدفع لي مرتبا بوصفي أحد رجالها المحاربين » قلت له « وإذا قتلت ؟ » قال « تدفع الدولة معاشا لعائلتي يكفل لها الحياة الكريمة » . وأنا أسوق هذه القصة لأثبت بها مدى تعاون الشعب في خدمة الدولة، ومدى رعاية الدولة لأفراد الشعب

ولعل مما يدل على حب الشعب البريطاني للاستقرار دراسة لأحزاب السياسية في إنجلترا ، إذ أننا نجد في بريطانيا حزبين كبيرين هما حزب العمال، وحزب المحافظين ، وحزبا ثالثا لا خطر له هو حزب الأحرار . ولا تختلف الأحزاب السياسية في بريطانيا في سياستها الخارجية ، فالسياسة الخارجية مرسومة موضوعة ، ولكنهم يختلفون في السياسة الداخلية ، فحزب العمال يؤمن بأن « الغرض الحق من المجتمع هو أن يرفع ويحفظ كرامة ورفاهية الفرد » ويؤمن بأن من حق العمال على الدولة أن يعيشوا كراما وأما حزب المحافظين فهو يتكون من الرأسماليين وكبار الملاك ، وهم حريصون أشد الحرص على تدعيم كيان الإمبراطورية البريطانية

استقالة :

ان الشعب البريطاني يمتاز بتقديسه لحريته ، وهو لا يقبل أن تقيد أبدا، وقد يختلف أفراده وأحزابه ولكنهم يجتمعون في النهاية على هدف واحد هو خدمة بريطانيا

ولعل من أروع الأمثلة التي أستطيع أن أقدمها للقارئ الكريم مما يدل على مدى حب الإنجليزي لحرية رأيه وحرصه على تحقيق المبادئ التي يؤمن بها ؛ ما كان من أمر استقالة مستر بيفان وزير العمل منذ أيام . فهذا الرجل كان وزيرا في وزارة العمال منذ سنة ١٩٤٥ — وقد كان في بدء حياته أحد عمال المناجم وكذلك كان أبوه — يتمتع بجاه المنصب وسطوته ، ولكنا نراه يترك هذا المنصب الخطير من تلقاء نفسه حين يرى أنه لا يستطيع تحقيق المبادئ التي يعتنقها، وهي العمل على أن تيسر الدولة للعمال الحياة الكريمة السعيدة. ويقول في كتاب استقالته ما ترجمته « إنه يستقيل لأنه لا يوافق على مشروع الميزانية الجديدة إذ أنه مشروع خاطئ إذ يرصد أموالا طائلة لبرنامج التسلح مما يرهق الميزانية . ولأنه يتخذ من رفع الأسعار وسيلة من وسائل الحد من الاستهلاك المحلي ، ولأنه بدء لتحطيم الخدمات الاجتماعية التي كان يفخر بها حزب العمال ؛ إذ قررت زيادة الضرائب على الأسنان الصناعية والنظارات »

ويقول « إنه ليس مما يشرفني أن أقرن اسمي بتنفيذ سياسة

المعرفة الصوفية

أدلتها ومنهجها وموضوعها وغايتها عند صوفية المسلمين

الأستاذ أبو الوفا التفتازانى

(١) المقامات والأحوال طريق موصل إلى المعرفة
(٢) علم الظاهر وعلم الباطن
(٣) أداة المعرفة عند الصوفية
(٤) منهج الكشف عند الصوفية وطبيعة هذا المنهج
(٥) موضوع المعرفة الصوفية
(٦) غاية التحقق بالمعرفة عند الصوفية

١ — اتفق الصوفية على أن غاية المتصوف السالك إلى الله أن يتحقق بمعرفة الله سبحانه وتعالى معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها

ويأخذ المريد نفسه فى أول عهده بالطريق بالمجاهدة النفسية فيتخلى عن الأخلاق الرديئة ويحاسب نفسه ويراقبها حتى تنقطع عنها الهواجس فتصبح طوع إرادته، ويتخلص من عوائق البدن وسطوة الشهوات التى من شأنها أن تحجب عنه الحقيقة العليا التى يصبو إليها

هذا وتنشأ عن المجاهدة والرياضة الروحية، حالات نفسية معينة تعرف عند الصوفية بالأحوال والمقامات، ولا يزال الصوفى يترقى (١) فى أحواله ومقاماته من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، حتى يصل إلى معرفة الله تعالى معرفة يقينية لا مدخل للحواس أو العقل فيها، فيستمتع بمطالعة وجه الله سبحانه وتعالى ومشاهدة جماله وجلاله جلت قدرته

والأحوال والمقامات هى طريق موصل إلى المعرفة . إلا أن الصوفية اختلفوا فى عدد هذه الأحوال والمقامات وترتيبها، فما يراه البعض حالا يراه البعض الآخر مقاما، وفى حقيقة الأمر كل يصف لنا منازل سيره وحال سلوكه . وعلى الرغم من هذا

(١) فى اصطلاحات الشيخ محيى الدين بن عربى أن الترقى هو التنقل فى الأحوال والمقامات والمعارف

لا يقرها ضميرى ولا يرضاها عقلى، وإنى آسف إذ أشعر أنى مضطر إلى اتخاذ هذه الخطوة بعد هذه السنين العديدة التى تعاونا فيها فى حكومة واحدة قامت بكثير من الخدمات لقضية العمال والتقدم الجنس البشرى ».

ويقول « إن الوظائف العامة يجب أن يعهد بها إلى من يؤمنون بأنهم قادرون على النهوض بها » ويختتم استقالته متمنيا لرئيس الوزراء الصحة والعافية

ويقبل رئيس الوزراء الاستقالة آسفا ويشاكره له ما قدم من خدمات وتمنيات . ومع هذا فلم يفصل حزب العمال المستر بيفان من عضويته، وكذلك أعلن بيفان أنه لن يهاجم الحكومة لما يرجوه على يدها من خير للعمال. وهكذا تكون الشجاعة وحرية الرأى

ويحرص أفراد الشعب البريطانى على أداء الواجب المطلوب منهم حرصا تاما، ويهتمون بالرياضة والألعاب الرياضية اهتماما كبيرا. ومن كلمات ولنجتون المأثورة قوله « لقد كسبنا معركة واترلو فوق أرض ملاعبنا ». ويمتاز البريطانيون بصبرهم وبرودهم وسعة حيلتهم ودهائهم ، ولعل موقف إنجلترا من روسيا فى الحرب الأخيرة يظهر لنا ذلك واضحا جليا

فى سنة ١٩٣٩ أرسلت إنجلترا وفرنسا بعثة لمفاوضة روسيا لعقد اتفاق لإتمام حركة تطويق ألمانيا، وبدأت المفاوضات ولكن ألمانيا أوسلت بعثة أيضا لمفاوضة روسيا ، فتوقفت مفاوضات روسيا مع مندوبى فرنسا وإنجلترا وبقوا بدون عمل ، وانتهت المفاوضات بين روسيا وألمانيا بعقد ميثاق عدم اعتداء بين الدولتين. وبعد ذلك طرد المندوبون الإنجليز والفرنسيون، ولكن إنجلترا لم تغضب ولاذت بالصمت وتذرعت بالصبر . وقد كان من نتائج ميثاق عدم الاعتداء الألمانى الروسى قيام الحرب الأخيرة ؛ فإن ألمانيا وقد اطمأنت إلى سلامة حدودها الشرقية أشعلت نار الحرب

وتقدم الألمان يفتحون البلاد غربا وشمالا وجنوبا حتى احتلوا شبه جزيرة البلقان ، وبدأت روسيا تسعى لتحقيق حلمها القديم وهو الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط ، فطالبت ألمانيا بأن تعطيها ميناء عليه ، ولكن ألمانيا رفضت واضطرت إلى إعلان الحرب على روسيا . وسارعت إنجلترا إلى روسيا تمد لها يد المساعدة، وبواسطة الدم الروسى والعتاد الأمريكى كسبت بريطانيا الحرب العالمية الثانية

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية